مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

البعد النفسي في رواية "البؤساء أيضا يحلمون" لزعروري مصطفى

The psychological dimension in the novel "Les Miserables Also Dream" by Zarouri Mustafa

د. صليحة لطرش
Seg1610@yahoo.com
جامعة البويرة

تاريخ الإرسال: 2021/10/07 تاريخ القبول: 2021/12/23

الملخـــص

تروم هذه الدراسة إلى الوقوف على وقائع رواية ترجمت مجموعة من المعالم الإنسانية والأخلاقية التي خاضت معضلات المفهوم النفسي من زاوية الفرد ، هذه الأخيرة التي هي نتاج لنوازع ورغبات عميقة، فكانت المناهج النقدية واقفة على سطور النتاج الأدبي لتصوير الواقع العربي، تلك إذن هي اشكالية البحث، التي تظهر في القيمة الجمالية بين نص الروائي ونص روائي آخر، وهوما سنحاول إجلاءه كاستنتاجات في رواية "البؤساء أيضا يحلمون " للروائي الجزائري "زعروري مصطفى" حيث قدَم أبعادا نفسية صور من خلالها التفاصيل، ورتب أفكاره ليتم تقديمها بطريقة فنية وجمالية .

الكلمات المفتاحية: البعد، الوقائع، المناهج النقدية، الرواية، النفسي .

Abstract:

This study aims to stand on the facts of a novel that translated a set of human and moral landmarks that fought the dilemmas of the psychological concept from the angle of the individual, the latter of which is the product of deep impulses

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

and desires, so the critical approaches were standing on the lines of the literary production to depict the Arab reality, so this is the problem of the research that It appears in the aesthetic value between the novelist's text and another novelist's text, which we will try to elucidate as conclusions in the novel "Les Miserables Also Dream" by the Algerian novelist "Zarouri Mustafa, " where he presented psychological dimensions through which he portrayed the details, and arranged his ideas to be presented in an artistic and aesthetic way.
Keywords: dimension, facts, curricula, novel, psychological**.**

المقدمـــة

الروائي في البعد النفسي، يقوم بتصوير عواطف الشخصية وطباعها وطريقة تفكيرها وتصرفاتها أو ردود فعلها اتجاه المواقف المتعّددة وسيشمل أيضا مزاج الشخصية من انفعال وهدوء وانطواء أو انبساط، فالروائي من خلال هذا البعد «يقوم بتصوير الشخصية من خلال مشاعرها، وعواطفها، وطباعها، وسلوكها، ومواقفها من القضايا المحيطة بها وبالتالي تكون مواصفات الشخصية هنا سيكولوجية، حيث يقوم الكاتب بوصف الشخصية نفسيا، فيبين لنا طريقة تفكيره، كما يصّور لنا أيضا عواطفه ومشاعره وانفعالاته، أي أن هذا البعد يتمركز أساسا حول الشعور الداخلي الذي يكتسي الشخصية الروائية حاوسيسها.

ينحصر البعد النفسي في الرواية العربية في الشخصيات الروائية سواء من حيث شكلها الخارجي أو عالقاتها ببعضها بعض أو طبيعتها "نمطية، نامية، رئيسية، ثانوية، ولكن يمكن ان تدرج عناصر أخرى تجسد البعد النفسي في الرواية كالعنوان الرئيسي والعناوين الداخلية وكذا الصورة والألوان التي تحويها. وإذا أردنا أن نحصي الروايات

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

التي وظفت البعد النفسي فإن ذلك مستحيل، لأنه لا يمكن أن تكتب رواية وتؤسس شخصيات دون أن يكون البعد النفسي حاضرا فيها، فما أكثر الروائيين الذين اتخذوا شخصيات مركبة ومعقدة كـــأبطالا لرواياتهم نذكر من ذلك: شخصية الشاعر المثقف في رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار، وشخصية الساردة "ياما" في رواية "مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج التي تبدو كأنها تعاني من شيء يشبه الباثولوجيا النفسية La psychique pathologie التي فصلتها عن واقعها وأنهكت نفسيتها إلى حد الدمار. وكذلك بعض شخصيات نجيب محفوظ في روايته "اللص والكلاب" من خلل شخصية "سعيد مهران" الذي قسم الكاتب حياته النفسية إلى مرحلتين ها متين هما: مرحلة ما قبل السجن ومرحلة الخروج من السجن والآثار النفسية التي خلفها في انسجام الشخصية[1].

فما الذي أراد أن يقوله لنا "زعروري مصطفى" في هذه الرواية من تصويره لشخصية الأبطال بهذه الصورة، وما علاقة هذه الشخصية بالواقع الذي تعيش فيه، بل ما علاقة الواقع بظهور مثل هذه الشخصية؟ لذا لا يمكن فهم شخصية البطل بعيدا عن رؤية الكاتب، التي لا يمكن فصلها عن طبيعة المرحلة، التاريخية التي تصورها القصة وهي مرحلة مليئة بالقلق والخوف والانتظار والاستبداد، فهي مرحلة حرب واستعمار، وظهور بدايات تنظيمات سياسية ونقابية، وتحرر، ورغبات تحرر، ومحاولات تحرر، ولا يمكن فهم البطل وهو بعيد عن فئة من المجتمع في ذلك الوقت. فما الطبقة التي يمثلها البطل، وما موقف هذه الطبقة من كل ما يجري على الساحة العربية؟

[1]– ينظر: فوزية بوالقندول: محاضرات في المقياس: السرديات العربية الحديثة والمعاصرة السنة: الثالثة ليسانس التخصص: أدب عربي ص2

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

واستغرق "مصطفى الزعروري "في التحليل النفسي بمتعة فكرية تحبب إلينا الاتجاه النفسي في النقد، شأنه في ذلك الخيال العمدي أو المتوهم، أو بعبارة أخرى ايراد الخيال، والجنوح إلى عالم الواقع، إنه تفسير يشبه إلى حد بعيد المخطط الأوديبي النفسي .وهو الموقف نفسه نجده عند "الطرابيشي" في حديثه المفارقة بين حسيّة الموسيقى الشرقية وذهنية الموسيقى الغربية في "زهرة العمر" والإيماء إلى انتصار روحانية الأب على روحانية الأم بظهور موضوعة المرأة الآثمة.[1]

فقد لاقت الرواية –التي صدرت سنة 2017 مما أهلها لأن تترجم إلى عدة لغات علمية قبل أن تظهر في القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية كإحدى الروايات المرشحة لاعتلاء عرش الرواية العربية لهذه السنة، حيث تحصل بروايته الأولى على الجائزة الكبرى آسيا الجباري للرواية 2017.

وتنهض رواية "البؤساء أيضا يحلمون" بعد ذلك رحلة في عالم عنف الإرهاب وعنف العم وعنف المدرسه حكايات حلم الطفولة التي ترفض العيش في قسوة المحيط، يعيش متشبعا بحلم حتى في أصعب الظروف. حيث نجد الكثير منهم يصورون أحزانهم وآلامهم وكأنهم يجدون في الحزن متعة وفي الألم لذة أو لاعتقادهم أن الألم يطهر النفس، والحزن يسمو بالروح، أو بعبارة أخرى أن الألم من سمات الحساسين والحزن من صفات الشاعرين مما يدفعهم إلى الشكوى والتعبير عن الحزن والألم لأسباب معينة[2].

[1]– ينظر: مفيدة قيطون: النقد النفسي عند جورج طرابيسشي كتاب عقدة أوديب في الرواية العربية أنموذجا، مذكرة ماستر جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي 2014–2015 ص65 .

1– حسين علي محمد، أحمد زلط، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ص68 ضمن مذكرة ماستر تجليات الحزن في رواية– الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران كلية الاداب جامعة البويرة 2013–2021 ص18 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

تروي "البؤساء أيضا يحلمون" قصة حالم يرفض أن يستسلم لقسوة المحيط وللنظم التعليمية المختلفة، يحلم أن يكون طيارا حكاية ألم الطفولة لكن السارد رحل بنا خارج مخيلته، ليدخلنا بعد ذلك في مفهوم الحياة الصعبة لمرَ السنين يغفو ويصحو ليُعيد رحلة إلى الأيام الماضية، فعلا سعادة أخذت من أيام البؤس، جرب السكوت وأجل النسيان، أنها تفاصيل الحياة الصعبة في منطقة رسمها السارد "خارج الزمن راسما حلم الناس للخروج من دوائر دوائر القسوة والظلم، والجميل عند الروائي "مصطفى الزعروري" ينجح في تصوير أشكال البعد النفسي الذي يحمل هشاشة الحلم.

ففي الرواية نزعة واقعية واضحة وهذا ما نلمسه بوضوح حين عبر جبران عن حبه الطاهر قائلا: "كنت في الثامنة عشر عندما فتح الحب عيني بأشعته السحرية.

ويرى "يونغ" أن الرواية هي الفن الأدبي الأكثر ملاءمة للتحليل النفسي، من خلال دراسة سيكولوجية الشخصيات الروائية وربطها بواقع حياة الأديب والنظر في الصراعات النفسية لهذه الشخصيات، حيث يربط ذلك بالوظائف التي تميز النفس الإنسانية، وهي أربعة يقابلها كثنائيات: "العقل والعاطفة" والإحساس والحدس. وهذه الوظائف الأربعة هي التي تنير السلوك البشري فإما أن يكون الشخص عقلانيا أو عاطفيا[1]

وعلى هذا الأساس جاءت الرواية، على قدر من البوح الجمالي للعلاقات الكامنة في فصول الرواية من رغبات مكبوتة، تدفق الروائي من خلالها فأخرج أيقونات وأساليب مختلفة تصب في قبو البعد النفسي .

[1]– فوزية بوالقندول: محاضرات في المقياس: السرديات العربية الحديثة والمعاصرة السنة: الثالثة ليسانس التخصص: أدب عربي ص2–3

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

تمثل رواية "البؤساء أيضا يحلمون"كُمة من المشاكل، بحيث تفضي خاتمة كل واحدة إلى بداية الأخرى لذلك يمكن حصر الأبعاد النفسية للرواية التي تمخضت على إشكالية رئيسية تدور حول مفهوم البعد النفسي "وكيف تجلَت مظاهره في الرواية؟

للرواية أبعاد سردية كثيرة، شاركت فيها الصورة النفسية والسيايسة والاقتصادية ، والوطنية، لتصب بوتقتها في منبع ممتليء بالمشاعر والانفعالات والأحاسيس تلك إذن هي أهداف ومبتغى السارد المنشود الذي استلمسناه في هذه الورقة البحثية .

أولا: الحـــزن

الحزن ألم نفسي يوصف بالشعور بالبؤس والعجز، وهو شبيه بالهم، الأسى، الكآبة، اليأس ومن المؤكد بأن هذه المشاعر بالعادة هي مشاعر سلبية عندما يشعر بها الإنسان يصبح الشخص هادئا ومنفعل عاطفيا حيث يصاحب الحزن أحيانا البكاء. وهو ما عبر عنه حلمي مرزوق حين قال: "فأحزن الحزن هو الحزن الداخلي بلا شك والبأس البؤس المقنع أيا كان مصدره وباعثه مادام تابعا من الأعماق ودخائل النفوس[1]."

ويعرف الحزن في بعض الأحيان بأنه الشعور بعدم الرضا عما يحدث إما لمشاكل أو ظروف خارجية عن إرادة الإنسان تجعله تحت ضغط نفسي فلا يشعر معه بالراحة ولا بالطمأنينة، إذ يتميز الحزن بفقدان الرغبة في الحياة وبالكبت العاطفي والوجع.

وقد يأتي الحزن من الفراق والجرح والخيانة والغدر وكل إنسان على هذه الأرض، أبد أن يكون قد شعر بحزن في وقت ما، وهو ما نلمسه بوضوح عند العديد من الأدباء والشعراء في الأدب العربي، الحديث وخاصة الرابطة القلمية حيث: "شاعت

[1]– حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن دار الوفاء ط1 الاسكندرية 2001 ص35

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

ظاهرة الحزن في شعر الرابطة القلمية خاصة ولعل سببها طول الأيام في الغربة، وبعادهم عن أوطانهم مماّ ولد في نفوسهم الحنين وإحساس المهاجر إحساسا حاداً بالزمن[1]."

فكيف للرواية أن تقوم بتوظيف كل خيال؟ لذلك لم يكن أمام الروائي والروائية إلا اللجوء إلى السيرة الذاتية التي تأخذ شكل الشهادة على الأحداث و لم يكن أمام المنابر التي تستكتب الكتاب والكاتبات، سوى طلب شهادات على الأحداث من الميدان، من قلب الاعتصام.[2]

حتى تنتابك مشاعر متدفقة يتشابك فيها الحزن مع الألم والغضب لتتحول في لحظة معينة إلى كآبة وإحباط شديدين، ولكنها في الوقت ذاته مشاعر متناقضة ومتصارعة، مشاعر تهيمن على وجدانك وتهز ضميرك من الأعماق. تشعرك بالحيرة، والحزن بالألم وبالغضب في آن. تعود بك الأحداث التي يرويها، لتشارك معهم في النقاش وفي إبداء الرأي والاتفاق أو الاختلاف معهم، أنها تضعك أمام ديالكتيك الأحداث ومسيرتها ونتائجها أو عواقبها على الإنسان الفرد والجماعات والمجتمع، أنها تعود بك إلى قرون وقرون خلت وتضعك أمام التاريخ بحركته السائرة بخط عام مستقيم إلى الأمام ولكن بخطوط خاصة بهذا البلد أو ذاك ذات تعرجات حادة وتدميرية وعودة إلى الوراء بعيداً عن حضارة العصر الحديث.[3]

إن مصطلح الحزن نجده عند السارد وهو البطل "علي" منذ الوهلة الأولى من كتابة الرواية وهو يشرح علاقته مع الطفل "حسين "؛ ومع معلمه داخل المدرسة"

[1]– حسين علي محمد، أحمد زلط، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل،)د ط(، الإسكندرية،)د ت ص160

[2]– شرين أبو النجا: تم الاطلاع عليه يوم 13–05–2019 https://blogs.icrc.org

[3]– ينظركاظم حبيب تم الاطلاع عليه يوم 17–20–2020 https:///ishtartv.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

وزملاءه داخل القسم نحسين جاره الذي يبلغ من العمر أربع سنوات وهو يحمل دائما في جيبه حبات من الحلوى هاته الأخيرة التي كان يحضره له والده يوميا إلا إنه كان لا يقدم أي شيء من الحلوى لأحد فهو يمتثل لكلام والدته وهو نوع من الحزن الذي كان يخيب على السارد فنجده يقول: " فهو لا يرد أن يشاركني ولو بحبة واحدة من الحلوى"[1]

لكن ما نلمسه في كلام السارد أن هذا الحزن هو من طبيعة طفولة بريئة فسرعان ما يتحول الحزن إلى فرح، وهو ما نجده منسق في كلام عبد الله خاطر قائلا: الحزن والفرح موجودان في الإنسان وهما فطريان"[2]

فالرحلة كانت تحمل صراعاً يجمع من الحزن والخوف وبالأخص في تلك المرحلة التي بدأت الأزمات تظهر من جرَاء العشرية السوداء وهي الفترة الزمنية التي قررت فيها عائلة "علي" تغيير المسكن والاستقرار أمام أحواله أنها فترة مؤلمة بدأت بوادرها تظهر على المجال الاقتصادي ومن ثم تحولت إلى أزمة سياسية، وبصيغة أخرى الدخول في أزمة أمنية انفلت من ورائها عشرية سوداء كانت قد أودت بضحايا الأبرياء وهو ما نجده في قول السارد: "عندما رحلنا إلى مسكننا الجديد بالقرب من أخوالي، في قرية آيت عيسى بنواحي بلدية عين الترك أقمنا هنالك قرابة الثلاث سنوات، ولكن في تلك المرحلة بدأت الأزمات تنهش جسد الجزائر فبدأت أزمة اقتصادية ثم تحولت سريعا إلى مأزق سياسي، ثم دخلنا في الأزمة الأمنية التي انجر عنها الدخول في العشرية السوداء أو ما يسمى

[1]– الرواية: ص6

[2]– عبد الله خاطر: الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة، جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة للمنتدى الاسلامي راجعه وقدم له، الدكتور عبد الرزاق بن محمد الحمد، استشاري الطب النفسيفي كلية الطب ومستشفى الملك خالد الجامعي، جامعة الملك سعود بالرياض. 1422هـ ص35

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

بالإرهاب، حيث انزلقت الجزائر في دوامة من الدماء راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأبرياء"[1]

بعد هذه "الوقفة" السردية الحزينة للحالة التي ألمت بالجزائريين يأخذنا السارد "مصطفى زعروري " إلى ضفة التفسير للمتلقي ليكون منبرها الحزن والألم فتوثيق الحياة اليومية يعني انك تتواصل مع مفردات (الحزن) في قرية حيث نجده يقول: "أو ربما علي ألاَّ أحلم بتاتا، لا أدري ربما أنا أخطأت الحلم، أو حلمي أخطأ الوطن أو كلانا أخطأ، فلتقيت أنا وحلمي خطأ في الوطن الخطأ فلسنا في وطن يحترم أبناؤه أو حلمهم، لسنا في وطن الأحلام، لقد نفى الحلم في وطني ونفى الأمل يأسنا من عودتها، فليحلموا هم مكاننا بكل ما أرادوا ليوزعوا علينا أحلاما من وهم معلبة على مقاس عقولهم الصغيرة لقد صادروا كل شيء وتركوا لنا حلما واحدا ان تلتحق بأحلامنا وأملنا"[2]

ويستمر السارد في تصوير فجيعة بعد الأخرى وهذه المرة تكمن في وفاة جدته التي لا طالما كان يحبها فنجده يقول ": لم يمضي الكثير على موت جدتي، أمي لا تزال حزينة عليها، جراحها لم تلتئم كلما تذكرتها لحد الجنون دمعت عيناها"[3]

إن هذه الرؤية الشعرية الحزينة التي نلمسها عند السارد دفعته إلى تشكيل صورة حزينة تتسع إلى أفق تصويري، اجتمعت فيها التراكيب مع القيم الفنية، كان يقف من ورائها خيال سردي موضوع على منحى الواقعية .

هذه الأحاسيس مختلفة يخرجها عن طريق اللغة التي تحتضن رؤياه ويجعلها تحيط بتفاصيل تجربته، فيعمل بذلك على البحث عن اللغة المناسبة المعبرة عن تلك الحالة

[1]– الرواية: ص16

[2]– الرواية: ص201

[3]– الرواية: ص239

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

والمعاناة التي يحسها من جراء العالم المسبب لحاله وهذه اللغة التي يستعين بها قد تكون واضحة المعالم أو لغة مبهمة غامضة لا يفهمها أياً كان إلا باللجوء إلى تحليل نفسية القائل وفق دوافع نفسية واجتماعية جعلته ينظم مثل هذا النتاج الأدبي[1].

غير أن السارد رسم هذه المعاناة وفق لغة نفسانية تعبر عن حال العائلة يقول: "الحزن بادي على الوجوه، الكل صامت لا أحد يتكلم، حتى أبي والسائق لا حديث يجري بينهما، لا داعي للكلام، فالحزن موشوم على الوجوه لا داعي إلى أن تسرد همومك للآخرين، فالكل يتقاسم نفس الهموم لم ينجح أحد من تلك الظرف العصيب فالنار ملتهبة، حتى وان نجوت من لهيبها فسيصيبك صهدها وسيبكيك دخانها"[2].

وهو ما نجده واضحا عند سامي محسف، أن احساس النفس بأنها جوهر روحي غير محسوس، موجب حينها الارتقاء عن شهوات الجسد هذا الجوهر الذي قد يصل إلى الكمال.[3]

ويستمر السارد في تصوير مظاهر الحزن على الطفل علي وهو يدخل إلى المدرسة "لقد حل ذلك اليوم الذي تمنيت أن لا يأتي يوم كان يراه والدي وكأنه عيد، وأما بالنسبة لي فقد كنت أراه مأتما سيتم فيه تأبين حريتي لتقاد فيما بعد إلى سجن المدرسة لتقبر على يد الشيخ السعيد، فوداعا للحرية ومرحبا بالمآسي والمعاناة ".[4]

[1]– دحماني مريم، بوعلاقة سهام، تجليات الحزن في الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران، مذكرة الليسانس جامعة البويرة اشراف الاستاذة بوعامر 2011–2012 ص27

[2]– الرواية: ص37

[3]– ينظر: سامي محسف الختاتنة وأخروف، مبادئ علم النفس، ص 22

[4]– الرواية: ص71

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

ويقول في موضع آخر: " في نهاية الفصل الثالث للسنة الأولى، كنت على وشك اعادة السنة معدلي لم يكن جيدا إذ احتلت الرتبة ما قبل الأخيرة، لتليني حليمة في الرتبة الأخيرة وتعيد السنة ما منعني من اعادة السنة هي مادة الرسم حصلت على أعلى نقطة في الاختبار وكل نقاطي في المواد أخرى كانت ضعيفة "[1].

أليس هذه الموقف نجده عند ابن خلدون مبرزا بأن عالمنا النفسي كعالمنا الاجتماعي والمادي تحكمه قوانين خاصة، فالحالة الاجتماعية والنفسية للظروف والأحوال التي تكون مماثلة للأسباب.[2]

نعم أنها أحزان ترجمها لنا الراوي عبر صفحات روايته لكن الحزن بدى عليه أكثر وهو يصف لنا الطريقة التي مات بها "الدا عمرو" هذه الشخصية الدرويشية التي كان كل سكان القرية ينادون بها الطفل "علي" لأنه كان في اعتقادهم الطفل الغبية الساذج الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا حتى رسم أحلام لحياته يقول في هذا "ذلك الشخص الذي أعطاني كل شيء، لم ينتظرني أن أوصل له لقمة من تلك الكسرة، لأنفذ له طلبه الوحيد منيَ، طلب كنت مستعدا أن أجابه المستحيل من أجله، ولكنه قرر أن يرحل بجوعه لما اشتهاه، بجوعه أن يراني أحقق أحلامي، بجوعه لأشياء كثيرة أجهلها واستقرت ألغازا في ذاكرتي."[3]

هذا الجحيم الحياتي، الذي تحمل ثقله الثقيل والمرهق، الطبقة الفقيرة والكادحة بعرق جبينها وكدحها الشاق لكن حياتها اصبحت رخيصة، بتريف دمائها تجري بشكل

[1]– الرواية: ص71

[2]– نبيية صالح السامرائي، عثمان عمي اميمة، مقدمة في عمم النفس، ط1، دار الزيران للنشر والتوزيع، عمان، 2011 ص 15.ينظر

[3]– الرواية: ص240

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

لا يتوقف. نتيجة منجهية وغطرسة القوى المتسلطة والغاشمة التي فرضت نفسها بالقوة على الواقع، مما اصبح الرهان على استتراف حياة الفقراء.[1]

كانت إذن ملامح الحزن واضحة عند السارد، ملامح كشف لنا من خلالها استرجاعات نشأن في صورة الألم والمآسي جمعت بين عائلة فقيرة وأوضاع اجتماعية كلها صُبَت في صهريج الحزن المتقع، الذي أصاب الجزائر في العشرية السوداء .

اسقاطات السارد لهموم شخصيات الرواية ونجاحه في توزيع تعدد الأدوار، خلقت عضوية متماسكة في الأفراج عن لحضات من المشاعر الحزينة، كيف لا وقد صارت الحياة في هذه القرية مستحيلة، إنه سيناريو الحزن الذي ترجمه السارد "مصطفى زعروري: في تراكيب تعبيرية لغوية تكشف عن رسالة مباشرة .

ثانيا: الخوف في الرواية

ومما لا شك فيه أن ثقافة الخوف تبدو في الرواية العربية معقدة وملتبسة، ولا يستطيع القارئ أن يجد حدوداً جاسية بين صانع الخوف ومن يقع عليه فعل الخوف، فالخوف يترع في قلوب كل من الضحية والجلاد، وكأن أحدهما متربص بالآخر، وينسحب هذا على الوظائف والمتواليات البنيوية المختلفة من رجل وامرأة ومسؤول وموظف وحاكم ومحكوم وغني وفقير إلى غير ذلك من وظائف وعلاقات . ولا بد أن القارئ سيتذكر إحدى الروايات التي تمثل ظاهرة الرعب وثقافة الخوف بامتياز وهي رواية "شرق المتوسط" للراحل عبد الرحمن منيف.[2]

[1]– جمعة عبد الله: تم الاطلاع عليه يوم 01–10–2021 https: //www.almothaqaf.com

[2]– أد إبراهيم السعافين تمت قراءته يوم 12–12–2020 www.philadelphia.edu.jo

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

فالإنسان يرث استعدادا عاما للخوف الفطري ليأخذ حذره من مخاطر الحياة، كما أن معظم المخاوف تنشأ نعه نتيجة لتعرضه لتجارب صادمة[1]

فجزائر ما بعد الثمانينيات قتلت الأب وضاعت في تعددية غلقت العقل الجزائري ورمت به داخل خلافات معتوهة، فجّرت الفرقة عبر صراع الهويات، لتطفو الهوية الآمازيغية، والهوية الوطنية، والهوية الدينية، والهوية اللغوية... ويبحر الجميع في صراع وخلاف غير مؤسس على نظرة تعي قراءة الواقع والراهن وما بين السطور، وكأن الكل هرب من الواحد ليختلف ويخالف ويسقط بالتالي في عنف كان رمزيا معنويا، ثم صار سياسيا إيديولوجيا، ليصبح في الأخير عنفا دمويا ماديا، بناه الجميع، لأن العنف اللغوي كان وسيلة مدمرة: فبـــالكلمات أصبح القتل... وهؤلاء الذين زج بهم في السجن كان وراء أقدارهم كلمات، الدم كانت خلفه كلمات، الجرح تخيطه كلمات، الفتنة توقظها كلمات، في البدء كانت كلمات .... سر الحياة كلمات وسر الموت كلمات[2]

فنجد السارد حينها يصف لنا مأساة الطفل سفيان ذو الخامسة عشرة من عمره "العشرية السوداء" عندما كان ذاهبا لاقتناء الماء لعائلته فانفجرت فيه قنبلة فماتت الأتان، وهو مشهد مؤثر وخوف عم على نفسية من شاهدوه من سكان القرية: "وأما سفيان فلقد كانت تلك الأتان درعا حامية له بحيث امتصت صدمة الانفجار واستقبل جسدها كل الشضايا التي كانت متجهة إليه ورغم أن تلك الأتان، أنقذت سفيان من موت محقق، إلا أنها لم تكن عالية كفاية لإنقاذ عينيه فلقد كان الجزء العلوي من جسد سفيان،

[1]– مجدي محمد الخواجي: سردية العنف في رواية عبد الخال رواية "فسوق" نموذجا جاعة حازان السعودية ضمن مدكرة تخرج لـــ: عروة ايمان ركاب عائشة: سردية العنف في رواية تماسخنت دم إنسان للروائي الجزائري لحبيب السايح جامعة ام البواقي 2018–209–ص07

[2]– تم الاطلاع عليه يوم: 19–07–، 2018 https: //oumssadhayet.wordpress.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

رأسه ورقبته، منكشفين تماما ومن شدَة دوي الانفجار تضررت عينا سفيان وفقد بصره بسبب ذلك، أُطفيء النور في وجه هذا الشاب البريء إلى الأبد"[1]

ثقافة الخوف تعكس موقفاً وجودياً أصيلاً في الحياة الإنسانية، عززته التفسيرات المختلفة لكثير من الظواهر الوجودية والإنسانية والطبيعية. وقد حاول الدين أن يحّرر الإنسان من كثير من التصورات عمّا يحيط به من ظواهر وخوارق وأساطير، ولكن تعّدد التأويلات والتفسيرات وخلط الدين بالأسطورة والخرافة في جوانب كثيرة وشيوع ثقافة الجهل والثقافة الشفوية عزز من ثقافة الخوف، وقد انعكست الثقافة لدى الناس في العالم العربي نتيجة لتراكمات تاريخية، منها التنشئة الأسرية والطبقية والقبلية في الجانب الاجتماعي، ومنها طبيعة الحكم الفردي الشمولي على المستوى السياسي، ومنها غياب العدالة الاجتماعية، واتساع الهوة بين من يملكون ومن لا يملكون على المستوى الاقتصادي، ومنها التمزقات النفسية، والممارسات غير السوية التي تحكم الأخلاقيات الساندة بين الأفراد والجماعات والحكام والمحكومين وأصحاب العمل والعمال وغير ذلك. وربما نلاحظ مع تراخي الزمن زيادة ملحوظة في العناصر التي تزيد من سطوة الرعب وتفشي ثقافته في العالم كله ولا سيما في الكيانات الاجتماعية المتخلفة المحكومة بأنظمة قمعية شمولية، ولم تسلم الدول المتقدمة من شيوع ثقافة الخوف في مجتمعاتها ووضوح سطوتها، فقد تعزز في هذه المجتمعات الخوف من الآتي في شكل خوف من المستقبل: فقد الوظيفة والفقر والمرض والشيخوخة، والخوف من عدم الإحساس بالأمن، في شكل عدو خفي ينتظر قدومه عند أول منعطف يتمثل في لص أو مجرم أو منحرف وشاذ، وربما في شكل سائق متهور أو حريق مفاجئ أو إعصار أو بركان، إلى جانب

[1]– الرواية: ص24

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

الانتهاكات المباشرة للحرية الشخصية في شكل التجسس على أموره الشخصية أو معاقبته على الرأي أو الموقف أو الاتجاه بشكل غير منهجي أو قانوني أو أخلاقي.[1]

لذا يمكن لأي نص روائي أن يتخلى عن الزمن، إلا أن خصوصية الكتابة الروائية، تجعل هذا العنصر متنوع الاستعمال حسب نوع الكتابة وأهدافها، والسؤال المطروح: كيف تجلى الخوف زمنيا في هذا النص؟

عند تلخيص الرواية، تبدى بأن أحداثها جد متشعبة ومتداخلة، صعب الوقوف عند كل تأزماتها وإحداثياتها. وهذا ما خلق نوعا من التدبدب بين زمن القصة وزمن الحكي؛ فإذا كان هذان المفهومان عند جينيت يعنيان أن زمن القصة هي الأحداث كما تجري في الواقع بخطية، فإن زمن الحكي هو الطريقة التي ترتب بها الأحداث في الرواية، ويحدد هذا الاختلاف بين الزمنين، السرعة السردية والتواترات والتنافرات[2] .

إذا تتبعنا هذه الظاهرة الخطيرة في الجزائر لعرفنا إنه كان في الأصل لعبة سياسية أرادتها فئة فقهت جيدا بأن أزمات اقتصادية كارثية ستطفو لا محالة، قريبا عن السطح وظهورها سيؤدي إلى أزمة حادة، وما كان سبيل الخلاص منها، ومن الفضيحة والمحاسبة سوء تفكير في تخطيط داخلي أو خارجي أوصل فعلا إلى انشاء حزب سياسي اسلامي يستطيع أن يمتص غضب الشعب، ويكون متنفسا للشباب المتحمسين للتغيير والخروج من الخانة المزرية التي يعيشونها"[3]

---

[1]– أد إبراهيم السعافين تمت قراءته يوم 12–12–2020 www.philadelphia.edu.jo

[2]– عروة ايمان، ركاب عائشة [2] سدرية الخوف في رواية تماسحت دم النسيان للروائي الجزائري الحبيب السايح كلية الآداب جامعة أم البويقي مذكرة ماستر 2018–2019 ص49

[3]– حياة أو السعد: سردية الخرف في رواية متاهات ليل الفتنة وأبناء المرارة نموذجا مجلة اللغة والأدب الجزائر العدد 20 ص 282

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

أليس هذ الخوف هو اسقاط موجود في ثيمة الرواية رسمها السارد فحين ئذن نجده يقول: "لقد ساد الخوف في كل البلاد وأصبحت الثقة سلعة غالية لا أحد يثق في الآخر وما ان يحل المساء حتى يبدأ حضر التجوال على الساعة الخامسة، سواء أكان من قوانين حالة الطواريء التي فرضتها الدولة أو بعرف بين الناس، لا أحد يخرج من بيته بعد الساعة الخامسة، ولن تجد أحد يتجول في الحي بعد تلك الساعة، وأما بالنسبة إلينا نحن عند أخوالنا في زبوجة كنا نطفيء المصابيح باكرا في الليل لكي لا نلفت انتباه أحد، وعندما كنا مشعل جهاز التلفاز كنا نسد كل الشقوق في النوافذ والأبواب تفاديا لخروج أي شعاع لا يمكن ان يكون مصدر تهديد لنا وكنا نخفض من الصوت إلى الأقصى ما يمكن كي لا نلفت الانتباه، ولو مررت في قريتنا في هذا الوقت سيبدو وكأنك في مكان مهجور."[1]

ويواصل السارد وصف حالة الخوف والرعب الذي كان يعيشها عدد كبير من عائلات تلك المنطقة يقول: "كان شباب في وضع لا يحسدون عليه، فقوات الأمن أيضا كانوا يشددون في وضع الحواجز الامنية في كل مكان في الطرقات والمدن، وكانوا يطالبون كل من يفوق العشرين من العمر من الذكور اظهار بطاقة تأدية الواجب العسكري، وفي حالة عدم حيازته لها، كانوا يعتقلونهم ويقتادونهم مباشرة على متن الشاحنات إلى الثكنات لأداء عامين من الخدمة الوطنية ...وكان الذبح أكثر الطرق شيوعا عندهم في القتل، لما يحدث من رعب في النفوس عند رؤيته ....ولقد كان حمل بطاقة الخدمة الوطنية عندهم بمثابة حمل شهادة الوفاة، تنتظر فقط يوم بالختم عليها من متطرفي الدولة الموازية، دولة الإرهاب"[2]

[1]– الرواية: ص22

[2]– الرواية: ص21.22

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

بيد أن الخوف في رواية البؤساء أيضا يحلمون ظهر بصورة السلطة لمحلية وفي بعض الاحيان خوف من الآخر فيقول: "لقد كنا نعيش في خوف دائم ومستمر، ولكن منذ أن ذَبح رئيس بلدية عين الترك على يد الجماعة الاسلامية المسلحة (الجيا) التكفيرية، تغيرت الأوضاع، حيث وضعوا رأسه في أحد الأواني الفخارية المعروضة للبيع على حافة الطريق الوطني رقم"5"بنواحي الريش للتعبير عن مدى قوتهم، وزيادة بث الرعب في النفوس .لقد كان الرئيس المذبوح محبوبا بين سكان بلديته، كان متواضعا جدا ويقوم بواجباته على أكمل وجه، وكثيرا ما كان يتعاطف مع الفقراء"[1]

لو بحثنا عن ثقافة الخوف في الروايات العربية لرأينا أن بداياتها كانت في "الأجنحة المتكسرة" و"زينب" و"الأيام" أنها ثقافة نوعية في تصوير وثقافة الخوف والسلطة السياسية من مصادر ثقافة الخوف[2]

خطاب الخوف عند "مصطفى الزعروري" ألقى الضوء على المراحل التي مرَ بها الشعب الجزائري، مظاهر لصراعات جاءت تحت وطأة الظروف الاجتماعية، فكان السرد أسلوبا تعبيريا استند عليه الروائي ليشرح لنا طريقة تولُد الخوف الناتج عن أفكار أناس عاشوا في ظروف كادحة، سواء من جهة الأسرة أو المجتمع، لأن الخوف في السرد هو انعكاس لموقف وجودي حياة الشخص. ومن ثم يلد "العنف الذي هو الابن الشرعي للخوف"[3]

[1]– الرواية: ص29

[2]– ينظر: إبراهيم السعافين: ثقافة الخوف في الرواية العربية الحديثة: ص233 ضمن: زهير محمود عيسات منطق الخطاب المركز والتابع: قراءة في السرد الكولونياليّ، دار المناهل، بيروت. 1987 ص113

[3]– حياة أم السعد: عنوان مقال https: //oumssadhayet.wordpress.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

ثالثا: العنف في الرواية

يتداخل مفهوم العنف مع العديد من المفاهيم الأخرى قد يكون عنف اجتماعي أو سياسي أو نفسي لكنه يأخذ منحىً واحداً وتؤدي وظيفة واحدة، ومنها مفهوم (الإرهاب) الذي يثير الكثير من الخلط واللبس عند التعامل معه، وذلك بسبب شيوع استخدامه من قبل السياسيين والصحفيين، وفي الغموض الفكري والسياسي الذي لازمه، وفي تعريف الارهاب يمكن القول "إنَّ الإرهاب عمل رمزي، فهو لا يستهدف الضحية في ذاتها وحسب ولكن النظام أو الجماعة أو الدولة التي تنتمي اليها . بلغة أخرى، يمكن القول أنَّ الفعل الارهابي يعد رسالة موجهة إلى الآخرين . والهدف الأساسي منه هو إحداث أثر نفسي سلبي يتمثل في حالة من الخوف والقلق والرعب والتوتر لدى المستهدفين، حيث يمكن في إطار التأثير على توجهاتهم وسياساتهم. ولذلك فإذا كان العنف المادي يتجه إلى الضحية، فإن الآثار النفسية السلبية تتولد لدى الجماعة التي تنتمي إليها الضحية. ويقوم الإرهاب السياسي على أساس الاستخدام المنظم للعنف أو التهديد باستخدامه. ويعد استخدام العنف من العناصر الأساسية للفعل الإرهابي. فهو لا يمثل عنصراً عابراً أو طارئاً فيه"

ربما تكون رواية "البؤساء أيضا يحلمون" واحدة من الروايات القليلة التي نجحت حين تحدثت عنه بشكل حقيقي، فهي لم تكتفِ بعرض المعاناة الإنسانية للسكان، بقدر كشفها عن الصراع الذي يخوضونه، ونمط العنف في هذا الصراع. والغريب مدى تغييب تناول العنف في الأعمال الأدبية، والاكتفاء بعرض المعاناة الإنسانية فقط، رغم تعدد الروايات التي تكتب عن هذه الثنائيات بشكل صار يدعو للملل والرتابة في الطرح. هنا يكمن تميز رواية "البؤساء أيضا يحلمون"، في تناولها ثنائية المتعلم والأميَ، من منظور سياسي أكثر من كونه منظوراً اجتماعيا، في محاولة لرفع الغطاء عن العنف الموجود، إذ

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

شملت الرواية أربعة مستويات مختلفة للعنف تمارسها شخصية متنفذة، نحو شخصيات العمل الضحايا، التي تبدأ بعنف رمزي/لغوي أولا، إلى عنف جسدي، ونفسي[1].

إنه عنف جسدي "نفسي" لطالما كان قد قدمه لنا الروائي طارحا على نفسه أسئلة كثيرة من يكونوا هؤلاء ؟هل هم بشر مثلنا أم ماذا؟ "رغم أنني كنت صغيرا، و لم أكن أعي جيدا ما كان يحدث، إلا إنه أسئلة كثيرا ما تردد في ذهني من دون أن أجد لها إجابة، من يكون هؤلاء المتطرفون الذين يقتلون بالآلاف وبدم بارد؟ وأي شيء يجعلنا نتخلى عن العائلة والمجتمع، وننسلخ تماما عن انسانياتنا ؟أي شيء يجعلنا نقتل حتى آبائنا؟"[2]

والشيء نفسه يقال على العنف المسلط على المرأة وهي تعيش في هذه الظروف "العشرية السوداء" "كانت جدتي تستمع إلى أبي وما يقوله، وهي تعي جيدا إنه على حق، لكنها ترفض أن تحمل كل المسؤولية لابنها آكلي على ما يحدث لنا وكانت دائما متقنع نفسها بأن أمي هي سبب المشاكل وهي المذنبة، وهي التي أثرت في تفكير أبي حتى بكره أخاه وتفرق بينهما "[3]

فالعنف وفق هذه النص يكون أحد الانماط السلوكية الذي ينتج عن حالة الاحباط، هذا الأخير الذي يكون مصحوبا بعلامات التوتر، فيختوي حينها على نية الحاق الضرر المادي بالكائن الحي [4]

[1]– تم الاطلاع عليه يوم 14-03-2020 https: //www.alquds.co.uk

[2]– الرواية: ص24

[3]– الرواية: ص42

[4]– مصطفى عمر التير، العنف العائلي، دار الحامد للنشر والتوزيع ط1 الاردن عمان 1435هـ 2014 ص12

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

ينتج الظلم من الحياة الاجتماعية التي يحياها الانسان مع بني جنسه، والذين ليسوا بعيدين عن ممارسة الظلم إزاء بعضهم البعض؛ ولهذا يرى فرويد أن الانسان ليس "بذلك الكائن الطيب السمح، ذي القلب الظمآن الذي يزعم الزاعمون إنه يدافع عن نفسه. "فالإنسان نزاع إلى تلبية حاجته العدوانية على حساب قريبه، وإلى استغلال عمله[1]" .

والملاحظ أن هذه الآفة الخطيرة ذات آثار سلبية مدمرة، تتمثل في الخشونة والقوة غير المشروعة، خلو من الرقة واللين، والتعدي على الآخرين وترويعهم واستلاب حقوقهم وحريتهم، إضافة إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية وخلق حالات من الفزع والقلق وعدم الاستقرار في المجتمع وإذا نظرنا إلى تاريخ الجزائر نجده حافلاً بالأحداث القاسية والعنيفة التي شهدتها الجزائر في الفترة العشرية السوداء هذا ما جعل المبدع الجزائري، وبالأخص الروائي شاهد عيان على تلك الأحداث المأساوية التي عاشتها الجزائر على مدار عشرية كاملة، حيث راح يصور هموم الإنسان ويبن ومعاناته داخل المجتمع ورصد تفاصيله في نصوص واقعية ومن أزمة التسعينات اخترقت الرواية الجزائرية أنظمة المجتمع المهيمنة على الفرد وراحت تكشف طبيعة العلاقات الإنسانية والاجتماعية المتحولة، والضغط الظروف الاقتصادية القاهرة المسيطرة على حركة المجتمع، لذا رصدت وضع المرأة وأولتها اهتماماً كبيراً في ظل الظروف الصعبة التي مرت بها البلاد فكانت أما وأختا وزوجةً وحبيبةً، صورت علاقتها بالرجل وموقفه منها، هذا ما جعلها تلجأ إلى الكتابة الروائية باعتبارها الحل الأنسب للإخراج مكبوتاتها وتدفقاتها الوجدانية محاولةً

[1]– البعد النفسي في رواية محامات بيض وانرجيلة ألمحد زايد حمبك:
e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi/Journal of Oriental Scientific Research (JOSR) ISSN: 1308-9633 Ağustos-2019 Cilt: 11 Sayı: 2 (24) / August-2019 Volume: 11 Issue: 2622ص (24) Sayfa: 614-648 Mohamad Alahmad

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

استنطاق النوازع الإنسانية الكامنة داخل ذات المقهورة، وتحقيق انتصارها وتحريرها من السلطة الذكورية.

لقد نظر النص الروائي الجزائري إلى المرأة من وجهات نظر مختلفة ومتعددة، باعتبارها قضية من بين القضايا الانسانية التي أثارت جدلا كبيرا في المجتمع الجزائري سنوات الفساد والدمار، أملت على تصويرها ضحية القهر الاجتماعي، وظلم الرجل وحرمانها من الحرية تم إقصاؤها بالقتل على يد المتطرفين تظهر في عالم متأزم متعصب مليء بالعذاب تحاول أحيانا التمرد عليه، لكنها تظل عاجز أمام السلطة وقهر الرجل متخذا كل احتياطاته في النظام الأبوي لحماية ممتلكاته دافعا المرأة إلى البقاء مسؤوليتها بداخل المترل مهمّتها إلا الإنجاب والتربية فقط[1]

و لم يبق العنف فقط ضد المرأة بل هو موجود في المدرسة إنه "العنف الموجه للتلميذ من طرف معلمه الشيخ السعيد فنجد البطل "علي" يحكي عن العنف الذي كان يتلقاه من عند معلمه "تعرف–الشيخ السعيد له ضربات جدَ موجعة يضربنا بعصا من شجرة الرمان حتى تزرق يداك، له صفعات ستسجل أذنيك تصفران وستتجلى لك النجوم في وضع النهار"[2]

وفي مقطع آخر نجده يقول: "تعرف انت معنى كلمة" والله"؟ تعرف انت معنى القسم؟

لقد أشبعه ضربا لم ينساه، لكن توسله وبكاءه جعلاه يرأف قليلا عليه ليطلق سراحه، ثم حان دوري كالعادة وأخذت نصيبا أكثر من أحمد، فدموعي لم يألف معلمنا رؤيتها هذا ما جعله يضرب ويقول :

[1]– زينب إبراهيم العزبي: علم الاجتماع العائلي، جامعة بنها كلية الآداب قسم اجتماع ص2

[2]– الرواية: ص60

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

– اليوم ان لم تبك دموعا، فأنا سأبكيك دما أيها الوغد الحقير؟

رغم كل ما فعله لم يرف لي جفن، ولم تذرف لي دمعة، كبريائي أتعب يداه، ازرق جلدي من دون أن يرى دمعة زاحدة تسيل على خدي، ربما كان عليَ أرحم نفسي وأتظاهر بالبكاء على الأقل حتى يرأف بي، لكن لديَ كبرياء يرفض ذلك ضربي حتى أستسلم من التعب"[1]

إنه مظهر من مظاهر الأفعال الفردية والجماعية الذي يستهدف الأشخاص بمختلف السلوكات سواء أكان عن طريق الضرب أو الاغتصاب أو السطو.[2]

فهو إذن إعاقة لحرية الانسان، هذا الأخير المتحرر من عاداته وتقاليده التي تبنى وعيه بنفسه، هذا الركن الاجتماعي كائن الوجود أصبح متنازلا مع قطيع المجتمع، في هذه الحالة تجده لا يملك الإرادة الذاتية [3]

يتحدث الروائي أيضا عن معاناة العائلات مع الأطفال والمعاناة التي عاشتها في وسط عائلتها المتمسكة بالعادات والتقاليد من طرف الأعمام، لكن قرار والد "علي" كان هو الحل الوحيد في تحقيق أمنيته وهو التغلب على ابن عمه والدفاع عن نفسه "كيف لك أن تضرب ابن عمك، ما الذي أوصلك إلى ابن من لا يستحي؟

[1]– الرواية: ص193

[2]– ينظر الشريف حبيلة: الرواية والعنف في الرواية الجزائرية المعاصرة، دراسة نقدية، دار الفراشة للطباعة والنشر ط1 الكويت 1431 2010 ص19، ضمن مقال، نبيلة بلعبدي: تجليات مظاهر العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة، رواية أشباح المدينة المقتولة، لبشير مفتي نموذجا مجلة تعليمية عدد 2 جوان 2019 ص31

[3]– ينظر: المرجع نفسه: ص31

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

فرددت عليه: –هو الذي بدأ استفزازي، لقد قال لأصدقائي "أني أغلب علي"ومن شدة غضب أبي علي في ذلك اليوم، لقَنني درسا لن انساه أبدا، حتى إنه لم يتركني أكمل كلامي لأشرح له سبب ضربي له، نادرا ما كان يضربني أبي، لكن ذلك ضربا مبرحا كان يضربني ويقول"[1]

يبين لنا الروائي في هذا المقطع عدم تقبلها لذلك الزي الذي فرضه عليها أهلها، فهي تشبه نفسها بالمرأة القديمة المهمشة التي لا قيمة ولا حياة لها. وهو التفسير الذي نجده عند عادل موسى في قوله: "إنه أي فعل مؤذٍ نفسيًا وعاطفيًا دون أن تكون له أثار جسدية[2]".

كما أن الإرهاب يُعد من بين القضايا الفتاكة في المجتمع، فهو يهدد سلامة الإنسان ويترك في النفس البشرية أثار مدمرة بما فيها الرعب والخوف والقتل وأنواع التعذيب المختلفة. لهذا يقف المجتمع عاجزًا أمام هذه الظاهرة، ولم يجد حتى الآن وسائل ناجحة ومساعدة في محاربته أو التقليل من حده، والسبب في انتشار هذه الظاهرة هو فقدان مناهج الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية مسارها الطبيعي المتولد نتيجة لمسارها غير السوي في معالم الحياة، وما له من دور أيضا في حدوث الصراع في كيان الإنسان، فينقلب على ذاته ويتحول من إنسان سوّي إلى مخلوق عدواني متوحش،

[1]– الرواية: ص91

[2]– عادل موسى عوض: العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى 2918.

هيثم عبد السلام محمد: مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 2998، ص34

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

هذا يعني أن الإرهاب هو انعكاس لواقع يشكو الانفصام بن قيم الخير والشر وبن الاستواء والانحراف في الذات الفردية والجماعية.[1]

نعني بثقافة العنف في الرواية عموماً حضور قيمة العنف بنوعيه الجسدي والنفسي فضلاً عن شيوع لغة تعمق تلك الثقافة وتدل عليها وتردد نسقها المضمر المتمكن من النفوس مما يجعل الإيذاء بالعنف والتعامل بقوة مع الآخر أمراً نلمسه في كثير من الجمل الثقافية الدالة على طبيعة نسق العنف بأشكاله وتمثلاته المختلفة بغض النظر عن الموقف الإيديولوجي للروائي حيث تحول العنف إلى سلطة تمارسها المجتمعات بوسائل مختلفة تدفعها غريزة التسلط .

وبهذا يمكن القول أن العنف بكل تراكماته الزمنية عبر الأجيال البشرية سواء أكان سلوكاً فردياً أم نسقاً ثقافياً ذهنياً ذا بعدٍ اجتماعي يوجّه الفرد في تعاملاته الحياتية إذ قد يتحول إلى صراع خارجي أو عنف داخل الإنسان نفسه لا يدَ له فيه يغذيه اللاوعي التراكمي لنسق العنف المضمر، وثقافة العنف تتلخص في أي "خطاب أو فعل مفردٍ أم مدّمر يقوم به فرد أو جماعة ضد أفراد وجماعات أخرى ومن الجدير بالذكر أن ثقافة العنف ليست مختصة بفرد دون أخرى إنما هي نسق ثقافي متمكن في النفوس يأتي في لا وعي الفرد ولاسيما المبدع والكاتب والروائي أو غيره[2]"

الخاتمـــة

في ضوء نتائج الدراسة ومضامينها نصل إلى أن رواية "البؤساء أيضا يحلمون" بصفة خاصة، والجزائرية بصفة خاصة ترسم ملامح العنف بشكلين مختلفين؛ الأول يرتكز

[1]– ينظر: المرجع نفسه ص34.

[2]– تم الاطلاع عليه يوم 12-01-2021 https: //thakafamag.com/?p=39303

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

على التاريخ المعاصر أو الواقع الاجتماعي فتسرد مشاهد دموية تعود إما إلى فترة الاستعمار أو إلى مرحلة العشرية السوداء فيما اصطلح عليه بمحكيات الإرهاب نمثل لذلك بعدد غير قليل من الروايات؛ رواية مرحلة الاستعمار والخطاب الثوري كالغريب "لألبيركامي" صورت العنف الممارس على المواطن الجزائري أما بعد الاستقلال فقد سادها خطاب مُراجِع للثورة من بينها رواية التفكك التي تراجع دور الشيوعيين في الثورة، والتصفية الجسدية التي تعرضوا لها، رغم أنهم حملوا السلاح كغيرهم من المجاهدين، وتدور العوالم الروائية حول الناجي الوحيد من مجموعة من الشيوعيين يمارس هو الآخر على نفسه عنفا نفسيا وهو يستعيد التاريخ، ويحاكم حزبه وتخليه عن الريادة، كما تصور عنف المعنوي للأفراد في مجتمع الجزائر المستقلة.

أما "محكيات الإرهاب فإنها ستتجلى بوصفها رد فعل مباشر على المصادرة المتلاحقة للحياة، صورة العشرية السوداء في شكل لوحات سردية دموية المشاهد، نقلت جرائم القتل، وخاصة قتل المثقفين والساسة.[1]

– هذه الحالة هي وسيلة لإظهار العنف وإدانته وإبراز صور الخوف للمتلقي كما يمكن الإشارة إلى قدرة الكاتب على الصياغة التصويرية التي تجسد الواقع من خلال اللغة حيث اعتمد على اللغة الفصحى في سرده ووصفه وعلى العامية واللهجة المحلية في أغلب حواراته لما لها من تأثير على نفسية القارئ.

– الألفاظ والتراكيب وحتى الأسلوب الذي عبر من خلالهم الروائي عن العنف المسلط ضد الأشخاص في زمن العشرية السوداء، أو العنف الموجه للمرأة بأنواعه، وحتى أيضا العنف الموجه للطفل داخل المدرسة ، كل هذه الصور هو تعبير عن صور الخوف

[1]– الأستاذة منى بشلم: تم الاطلاع عليه يوم 2020-06-09 https: //www.benhedouga.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

المتعددة التي تجلت في الرواية، سواء من شخصياتها وحتى الأماكن التي حدثت فيها في إطار الوضع المأزوم في ذلك الزمن، معبرة تلك اللغة عن معاناة الجزائريين في زمن العشرية السوداء.

– هذا العنف يعكس دون شك الشخصية المغلوبة على أمرها والمتصداة لكل المحن.

– عالجت رواية: للبؤساء أيضا يحلمون، قضايا متعددة ومواضيع نفسية كثيرة ويظهر هذا التشابك في الشخصيات الانسانية التي كانت تجابه الشر المنتشر في الرواية، عبر ما يعرف بالألم الفردي الذي أفرزته تأزمات المعضلات الاجتماعية.

أ–المصـــادر

1–زعروري مصطفى: البؤساء أيضا يحلمون، منشورات بغدادي، للطباعة والنشر والتوزيع .2017.

ب–المراجـــع

1– فوزية بوالقندول: محاضرات في المقياس: السرديات العربية الحديثة والمعاصرة السنة: الثالثة ليسانس التخصص: أدب عربي.

2– مفيدة قيطون: النقد النفسي عند جورج طرابيسشي كتاب عقدة أوديب في الرواية العربية أنموذجا، مذكرة ماستر جامعة العربي بن مهيدي أمالبواقي2014–2015،

3– حسين علي محمد، أحمد زلط، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، ضمن مذكرة ماستر تجليات الحزن في رواية– الأجنحة المتكسرة "لجبران خليل جبران كلية الآداب جامعة البويرة 2013–2021"

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

4- حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن دار الوفاء ط1 الاسكندرية 2001

5- حسين علي محمد، أحمد زلط، الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، د ط، الإسكندرية، 1999.

6- عبد الله خاطر: الحزن والاكتئاب على ضوء الكتاب والسنة، جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة للمنتدى الاسلامي راجعه وقدم له، الدكتور عبد الرزاق بن محمد الحمد، استشاري الطب النفسيني كلية الطب ومستشفى الملك خالد الجامعي، جامعة الملك سعود بالرياض. 1422هـ

7- دحماني مريم، بوعلاقة سهام، تجليات الحزن في الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران، مذكرة الليسانس جامعة البويرة اشراف الاستاذة بوعامر 2011–2012

8- سامي محسف الختاتنة وأخروف، مبادئ علم النفس ، مطبعة الحامد 1432–2011

9- نبلية صالح السامرائي، عثمان عمي أميمة، مقدمة في علم النفس، ط1، دار الزيران لمنشر والتوزيع، عمان، 2011 .

10- مجدي محمد الخواجي: سردية العنف في رواية عبد الخال رواية "فسوق " نموذجا جاعة حازان السعودية ضمن مذكرة تخرج ل: عروة ايمان ركاب عائشة: سردية العنف في رواية "تماسخنت دم انسان" للروائي الجزائري لحبيب السايح جامعة أم البواقي 2018–2019

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

11– عروة ايمان، ركاب عائشة سدرية الخوف في رواية" تماسحت دم النسيان" للروائي الجزائري الحبيب السايح كلية الآداب جامعة أم البواقي مذكرة ماستر 2018–2019

12– حياة أم السعد: سردية الخرف في رواية متاهات ليل الفتنة وأبناء المرارة نموذجا ، مجلة اللغة والأدب الجزائر العدد 20 .

13– إبراهيم السعافين: ثقافة الخوف في الرواية العربية الحديثة: ضمن، زهير محمود عيسات منطق الخطاب المركز والتابع: قراءة في السرد الكولونياليّ، دار المناهل، بيروت. 1987

14– مصطفى عمر التير، العنف العائلي، دار الحامد للنشر والتوزيع ط1 الاردن عمان 1435هـ 2014

15– البعد النفسي في رواية محامات بيض وانرجيلة أنحد زايد حمبك:

e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar -Dergisi/Journal of Oriental Scientific Research (JOSR) ISSN: 1308-9633 Ağustos-2019 Cilt: 11 Sayı: 2 (24) / August-2019 Volume: 11 Issue: 2 (24) Sayfa: 614-648Mohamad Alahmad

16– زينب إبراهيم العزبي: علم الاجتماع العائلي، جامعة بنها كلية الآداب قسم اجتماع 2019.

عادل موسى عوض: العنف الأسري وأثره على الفرد والمجتمع، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى 2018

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-026
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 835–863 تاريخ النشر: 10–05–2022

17– هيثم عبد السلام محمد: مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 2005.

ج –المواقع الالكترونية

1-https: //thakafamag.com

2-https: //ishtartv.com

3-https: //www.alquds.co.uk

4-https: //blogs.icrc.org